

حياة الانسان

للاستاذ بول جانيت

الاستاذ بالسربون

حياة الانسان منقسمة الى أربعة أطوار : الطفولة والشباب ، والرجولة والشيخوخة ، ولطالما اشتد الجدل وما يزال يشتد بين البشر لمعرفة أى هذه الأطوار يكون الانسان فيه أسعد حالا وأهدأ بالاً وأشد تفاؤلاً ؟ ويلوح لنا أن الناس يجمعون أو يكادون يجمعون على تفضيل الرجولة على الشيخوخة ، والشباب على الرجولة ، والطفولة على الجميع ، والحق الذى لا مراء فيه أن لكل طور من اطوار الحياة لونا من السعادة يناسبه ويلائمه ، ولكل طور نظر الى الحياة مغاير . . . وهب أن ليس هناك ماهو أهدأ من الطفولة المرحية فمن منا يود أن يظل طيلة حياته طفلاً ؟ فحن الذين نغبط الأطفال ههناهم ونذكر فى أسى تلك السعادة البريئة الماضية التى تفيأنا ظلالتها واحسبنا راحها ونعمنا بزنبها وآسها أيام كنا أطفالاً نرتع ونلعب ، لنرتمق فى حزن عميق أولئك اتعساء الذين تطول بهم الطفولة الى غير نهاية ، وإن سرورهم نفسه ليحرك فينا عاطفة الرحمة والاشفاق . نحن نرثى لهم لأنهم لما يلبسوا ما هم فيه من بؤس وشقاء ، فهذه السذاجة التى تطول عمرها ، وهذه الغرارة ، وهذه الغباوة ، وهذا الاستخفاف بالآلام الغير ليدو لنا أعظم الآلام . فليست السعادة منحصرة فى قيام لذة أو فى انعدام ألم ، ولكنها فى استغلال القوى التى خص بها الانسان استغلالاً مشرفاً معقولاً . . . !

يجمل الطفل الحياة جميعها ولا تكاد تنصب رغائبه الا على التافه من الأغراض ، ومع أننا نعجب بهذا الطور وما حواه من سذاجة ومرح وتدلل فنحن لا نأسف عليه أسفاً حقيقياً ، ولا نرضى عن طواعية واختيار أن نستعيده ثانية ، ويحب الشباب من الحياة ما يحبه الرجل ، ولكنه لا يتبع سبيله ، ولا يسلك منهاجه ، ومعرفة وآراؤه قريبان من معرفة الرجل وآرائه ، وليس الفرق بينهما عظيماً كما نراه بين الطفولة والشباب . وميزة الشباب على الرجل أن رغبته ماتزال فى نضارتها وقشورها ، فالمستقبل مفتر له باسـط ذراعيه ، والأمل لا يد مالى جوانب قلبه ، وناشر على أحزانه النادرة طبقة من السرور على أهبة أن تسفر وتتلأ ، وإذ لا عهد له بعقبات الحياة وتكليفها ، فهو أبداً سخي وشجاع ، ولما لم يكن قد خدع إلا نادراً كان ناصح الدخيلة ، سليم الطوية ، يصدق الرواة ويثق بالظروف ،

ولما كان عمله فى المعهد أو المصنع لا يتجاوز بضع ساع من النهار كان لديه وقت من الحرية والفرغ طال أو قصر يتسنى له خلاله أن يتذوق لذة الاستقلال قبل أن ينوء به عبء التبعة . . . غير أن زمن اللذة قد ولى وأدبر وبدأت حياة الجد والكفاح ، وحتى فى هذا الوقت لم تكن آراء الشباب إلا قضايا عقل وخلقيات نفس ينبغى أن تستحيل الى عقائد وقبود ! كان ميله هوى ، وصداقه رسالة ، وحببه تلبية من تلاهى الخيال قبل أن يكون حاجة من حاج القلب وضرورة من ضروراته ، وكانت علاقاته بالعالم لذة لحظة أو ملال لحظة ، ثم استحال الى سلاسل وأغلال لا يستطيع المراء أن يتحرر منها دون خطر . ثم تتجمع حول الرجل الكامل المنافع والغايات والحاجات والمنافسات . وتحيط به وتنسبط أمامه فلاة بلقع ليس فيها سوى أهراس وعواسج ومهاو ، وقد كان الشاب لا يرى فيها إلا سهولاً منبسطة تعطيها رياض بها أطيب الزهر وأشهى الثمر ! كل هذا حق ، وهل يمكن أن يقال أكثر من هذا فى مدح الشباب وذم الرجولة ؟ ولكن لم خلق الانسان ؟ خلق ليكون رجلاً يكافح ويناضل ، أما السلام فليس من أطوار هذه الحياة ، إن نشدته وجدته أبعد من الفرقدين واعسر من رد أمس الدابر . إن هذه الحياة جهاد ونضال ، وحرى بالرجل أن يكون كالربان فى بحر تحفه الأهوال ، وليس أدعى الى السخرية من شاب فى سن الرجولة أو فى سن الشيخوخة مثل ذلك الشاب الأبدى يدعو الى حزننا وراثتنا ، وليس الذى ترثى له من أجله هو ذلك التناقض المادى والمعنوى ، أو الجسدى والروحى فى الشخص الواحد ، ولكن ذلك النقص المعيب والخمول المزرى ، وتلك القوة المعتلة ثم ذلك الوقار الضائع والأهلية المفقودة . . . كل هذا ليس إلا ضعفاً هريماً قبل الأوان ، فالطبيعة تنأر لنفسها بشيخوخة مبكرة طافرة مع من لم يعرف كيف يتلقاها ويرحب بها ويتأهب لها وهى تدومنه فى رفق وتريث وانتاد . . .

يئذ الشاب الرجل يهجهته ونضارته وجماله ، أى يبذه بشئ ليس إلا عرضاً زائلاً ، وغثاً بالياً ، وزينة أخرى أن تفاخر بها المرأة . ويبذه الرجل بقوته واحتماله ، وعلمه وحزمه ووقاره . يريد الرجل فيعمل ، وينتوى فينفذ ، ويعد فيصدق ، ويكافح فلا ينشئ له عنان ولا تلين له قناة . ويقف الشاب من مسرح الحياة موقف المتفرج بينما يلعب الرجل فوقه دوراً تافهاً أو عظيماً . ولربما تطلب أنه فى الأدوار جهداً فوق الذى يتطلبه أعظمها ، فعول أسرة أشق غالباً من تأسيس مملكة . .

الموسيقى فى مصر

للأستاذ محمد كامل حجاج

لاريب أن الموسيقى من أعظم الفنون الجميلة التى أصبحت من الضروريات عند كل الطبقات ، وقد بلغت أوجها عند الأمم الراقية ، وتمشت مع التمدن حتى أصبحت معيار المدنية والرقى .
الموسيقى الراقية كالشعر بل هى متممة له ، لأن كثير من الحالات النفسية العميقة لا يستطيع الكلام أن يعبر عنها ، وإنى أضرب لك مثلاً سهلاً :

إذا قرأت أمام أمى جاهل مريثة من أروع الشعر الجاهل فهل يظهر عليه أى تأثر ؟

أعد الكرة أمام الرجل نفسه وأسمعه مريثة موسيقية راقية فلا ريب أنها تهزه وتحزنه حتى تقرأ علامات الحزن على وجهه .
ولربما لا يقوى على ضبط نفسه فيثأوه أو يخونه الدمع إن كان رقيق الشعور .

إن لم تكن الموسيقى واصفة ومصورة لكل ما تقع عليه العين من محاسن الطبيعة ، ومعبرة كالشعر عن اسمى العواطف وأرق الشعور والوجدان ، فأولى بها أن تسمى لفظاً وجلبة تصدع الرؤوس وتسمم النفوس .

لقد اهتمت مصر بالعلوم والآداب والفنون وأحرزت نصيباً يقارب الضروريات ، ولكنها متفجرة فى الموسيقى . ولم نر واحداً من أبناء الأغنياء أولع بهذا الفن وحاول أن يدرسه دراسة تامة تؤهله لخدمة الموسيقى والنهوض بها الى أوج الكمال . ولا يتأتى بلوغ هذه الغاية إلا بدراسة الموسيقى الأفريقية ، ثم العربية مع نصيب

وما اضطلعت به من أعباء ثقالة ، وما بذلت من جهود ونضال ، وما بذلت من عقبات ، وما جابت من فياف وقفار ، وما قضت من لبانات وأوطار ، وما نالت من مجد وفخر ، وما نعمت به من زوج وولد وصحاب ، وما احتملت من وقعات الهجير ولفحات الزمهرير فى طلب رزق أو استجداء سر ، أو ذيادة عن وطن . وتختتمها الشيخوخة وقد توسدت الراحة وأخلدت الى الدعة واعتصمت بالحلم والأناة وارسمت على وجهها آيات الرضا ، وانبعثت من مقتلها أشعة الهدى .
فراحت تنفياً ظلال الذكرى ، وكأنها فى سنى الطفولة والشباب والرجولة تحيا !!

رسلان عبد الغنى البنى

ترجمة

يجمل الطفل شئون الحياة ، ولا يكاد يعرف منها كثيراً ولا قليلاً ، ويعرفها الشباب أو يعرف منها الكثير فتستهويه وتستميله ، غير أنه لا يساهم فيها ، ولكن الرجل يمزج بها ويحاول أن يغيرها تخسكه التجارب وتوقره الحوادث ، وبروضه الزمان ويشققه الجديدان ، وتشخذ قوته العقبات . وتعلو مكائته التبعات ، وتوقظ مشاعره الآلام النبيلة ، والعبرات الصادقة . . . هذا عصر الانتاج المثمر ، والكفاح المجدى ، والعزائم التى تولد من عناصر الضعف قوة ، ومن ظلام اليأس نور أمل . هذا عصر القيادة والزعامة والابتكار ، هذا عصر المجد والنور بل هذا عصر الانسانية الحقيقية !!

فى الطفولة عدو وبؤس وسحر ، وفى الشباب نضرة وجمال ، ولكن كليهما ليس فيه غناء ، لا لصاحبه ولا لوطنه ولا للانسانية جمعاء ، فالأطفال والشباب يعيشون فى هذه الحياة كلا على الرجل ، فالرجولة وحدها هى التى يؤمل لها أن تبلغ الغاية القصوى ، والمثل الأعلى ، وهى التى يحق لها أن تطمح الى الخلود إن كان لشيء فى هذه الحياة خلود !!

أما الشيخوخة فتى كانت مدعمة بالرزانة والحزم ، وبمجردة من الهوى والأثم ، وكان معها توبة من الذنوب وإقلاع عن المعاصى أضحت للذابل طلاء وندى ، وللفنائت ترجيعاً وصدى ، وما أشبهها بأصيل يوم ربيعى رق وصفا !

لينس الشيخ المعمر لحظة ماوسع من أحزان وآلام ، وما ابتلى به من أوصاب وأسقام ، وما نزل به من خصاصة ، وما حضره من إملاق ، وما لقي من عنت وإرهاق ، وما صادفه من تعثر وإخفاق ، ولينس مع هذا وقبل هذا أن قباته قد أعوجت ، وأن عظمه قد وهن ، وأن الدهر عاضه من نضارة عوده ذبولاً ، ومن سواد عذاره قتيلاً ، وإن استطاع فلينس أيضاً أنه متى حان حينه طوى بساط عيشه ، ووافاه حمامه فكحله بهروده . ولفه فى مئزره ، وإنزعه من بين إبنه لهو ابن ، ووالدة وخذن ، وصاحبة ونأى وذن ، ليواريه فى حفرة قد ضاقت مساحتها وأحلولسكت جوانها . . . فان فعل ، وحرى به أن يفعل ، ثم قصيدة فيها سحر وجمال ومتاع سوف يخلقها له خياله . . قصيدة تبدأ بالأعياب الطفولة المرححة الطروب يتصوع منها شذا الوداعة والعدوبة والايأس ، ويفج منها نور السداجة والبراءة والعفاف ، ويغرد من فوقها البلبل والورقاء والحسون !! وتتصلبها آمال الشباب وأمانيه وأنا شيداه وأغانيه وتأملاته (١) ونجواه ولياليه (٢) وليلاه . . ثم تعقبها الرجولة بما أخذت من تبعه وإحتمال ،

(١) يشير الكاتب الى تأملات لامرتين

(٢) الليالى هنا للشاعر الفرنسى دى موسيه